

الدرس السادس: إصلاحات أحمد باي العسكرية والاجتماعية (1837 - 1855م)  
المادة: تاريخ وجغرافيا | الوحدة: التاريخ (الدرس 6) | المستوى: السنة السادسة ابتدائي (برنامج تونس)



□ أهداف الدرس التعليمية والتاريخية:

1. تعرّف ظروف تولي أحمد باي الحكم (1837م) وتأثره برياح التحديث العسكري والحضاري.
2. تحليل الإصلاحات العسكرية: تأسيس مدرسة باردو الحربية (1840م)، إنشاء العسكر النظامي والمصانع العسكرية.
3. دراسة الإصلاحات الاجتماعية والحضارية: مرسوم إلغاء الرق والعبودية (23 يناير 1846م) وتشجيع التعليم والمطبعة.
4. تقييم حصيلة إصلاحات أحمد باي: إبراز مكاسب التحديث والسيادة الوطنية ومحدودية الإمكانيات المالية والعجز.

1. ظروف تولي أحمد باي الحكم ورؤيته التحديثية (1837 - 1855م)

تولى أحمد باي حكم الإيالة التونسية سنة 1837م خلفاً لأبيه مصطفى باي، في مرحلة تاريخية اتسمت بتعاضد الأطماع الاستعمارية الأوروبية في منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط، ولا سيما بعد احتلال فرنسا للجزائر المجاورة سنة 1830م، واستعادة الدولة العثمانية سيطرتها المباشرة على طرابلس سنة 1835م.

أدرك أحمد باي بوعي مبكر أن الحفاظ على استقلال تونس وحماية سيادتها الوطنية يستوجب بناء دولة حديثة قوية تعتمد على جيش عصري ومؤسسات تنظيمية متطورة. وقد تأثر الباي بالرياض والتنظيمات الإصلاحية التي شهدتها الدولة العثمانية ومصر في عهد محمد علي باشا، فجعل من التحديث العسكري والاجتماعي محور سياسته العامة.



شكل 1: مدرسة باردو الحربية وتأسيس النواة الأولى للجيش التونسي العصري سنة 1840م

## 2. الإصلاحات العسكرية والمؤسساتية في عهد أحمد باي

شكل الإصلاح العسكري حجر الزاوية في برنامج أحمد باي، حيث سعى إلى تعويض التشكيلات التقليدية القديمة بجيش نظامي عصري (العسكر النظامي) منظم وفق المناهج والأساليب الأوروبية الحديثة. وتجلت أبرز الإنجازات العسكرية في المحاور التالية:

- **مدرسة باردو الحربية (1840م):** تأسيس مدرسة باردو الحربية في 5 مارس 1840م لتخريج الضباط والمهندسين التونسيين وتدريبهم على العلوم العسكرية والرياضيات والهندسة، والاستعانة بأساتذة تونسيين كبار (مثل الشيخ محمود قابادو) ومدرسين أجانب.
- **العسكر النظامي:** تنظيم المشاة الخيالة والمدفعية على قواعد نظامية حديثة، وتزويدهم بالزي الموحد (الشاشية والسترة العسكرية) والأسلحة العصرية.
- **الصناعة العسكرية والأسطول:** تأسيس مصنع البارود بتونس ودشنت دار الصناعة بحلق الوادي لترميم وصناعة السفن الحربية وتجهيز الأسطول التونسي لحماية الشواطئ.



شكل 2: دار الصناعة والمآثر العسكرية بحلق الوادي والأسطول البحري التونسي

### 3. الإصلاحات الاجتماعية والإنجازات الحضارية: إلغاء الرق (1846م)

إلى جانب الإصلاح العسكري، خلد التاريخ اسم أحمد باي بفضل قراراته الاجتماعية الجريئة والإنسانية، وعلى رأسها القرار التاريخي الصادر في 23 يناير 1846م والقاضي بإلغاء الرق والعبودية نهائياً في كامل البلاد التونسية، وتحريم بيع أو شراء البشر، وإعتاق جميع المماليك ورقيق العبودية وتزويدهم بحجج الحرية.

بهذا القرار الحضاري السباق، كانت تونس أول دولة في العالم العربي والإسلامي تلغي العبودية رسمياً وقبل العديد من الدول الأوروبية والأمريكية، استناداً إلى مبادئ الشريعة الإسلامية وقيم الكرامة الإنسانية التي دافع عنها علماء زيتونيون إجلاء كالشيخ أحمد بن أبي الضياف والشيخ قبادو.

كما شهد عهده تشجيع التعليم الزيتوني، وتأسيس المطبعة التونسية الأهلية، والاهتمام بالخدمات الصحية والطبية بإنشاء المارستانات والمستشفيات العسكرية.



شكل 3: مرسوم إبطال العبودية وإلغاء الرق بتونس في 23 يناير 1846م

#### 4. جدول ملخص لإصلاحات أحمد باي ومكاسبها ومحدوديتها

| ميدان الإصلاح            | أبرز الإنجازات والقرارات                                                                   | المكاسب والحدود الماليّة                                            |
|--------------------------|--------------------------------------------------------------------------------------------|---------------------------------------------------------------------|
| الإصلاح العسكري          | تأسيس مدرسة باردو الحربية ( 1840م)، إنشاء العسكر النظامي ومصنع البارود وترسانة حلق الوادي. | بناء جيش عصري محلي، لكن كلفته المالية الباهظة أثقلت الخزينة العامة. |
| الإصلاح الاجتماعي        | إلغاء الرق والعبودية نهائياً بمرسوم 23 يناير 1846م وإعتاق العبيد والمماليك.                | ترسيخ الكرامة الإنسانية والسبق الحضاري لتونس بين دول العالم.        |
| الإصلاح العمراني والمالي | تشيد قصر المحمدية الفاخر وتحديث المرافق الإدارية والطبية.                                  | الإنفاق المفرط أدى لعجز الميزانية وتراكم الديون الأولى للإيالة.     |

#### 5. تمارين تقييمية وتمارين تطبيقية مع الحلول

□ التمرين الأول: ضع العبارة المناسبة أمام كل تاريخ:

- 1837م ◀ ( تولية أحمد باي الحكم بالإيالة التونسية )
- 1840م ◀ ( تأسيس مدرسة باردو الحربية لتخريج الضباط التونسيين )
- 23 يناير 1846م ◀ ( إصدار مرسوم إلغاء الرق والعبودية نهائياً بتونس )

□ التمرين الثاني: وضعية تقييمية وتحليل تاريخي:

السؤال: اعتبر أحد الملاحظين أن «إصلاحات أحمد باي كانت مجرد نفقات مالية ضائعة دون أية فائدة تذكر». ناقش هذا الرأي وبيّن خطأه تاريخياً.

الإجابة النموذجية: هذا الرأي خاطئ وتجزئي؛ فتحت إدارة أحمد باي حققت تونس مكاسب حضارية وسيادية بارزة، بإنشاء أول جيش عصري ومدرسة باردو الحربية، وإصدار مرسوم إلغاء العبودية سنة 1846م الذي جعل تونس سباقاً عالمياً في صون الكرامة الإنسانية. ورغم السلبات المالية جراء كلفة التجهيزات والمشاريع الكبرى، فإن الإصلاحات وضعت اللبنة الأولى لمسار التحديث الوطني.

#### 6. خلاصة الدرس المركزة

مثلت فترة حكم أحمد باي (1837 - 1855م) محطة مفصلية في تاريخ تونس الحديث؛ حيث جمعت بين الطموح التحديثي الجريء في بناء الجيش العصري والمؤسسات التعليمية وإلغاء الرق، وبين التحديات المالية الصعبة الناتجة عن الكلفة الباهظة للإصلاحات والتي uthqlit خزينة الدولة لاحقاً.